السحر والتمائم والحجب

« والرقى والعزائم »

—«×»—

— في معتقدات الشعوب الشرقية والامم السامية وغيرها —

لا بد انك أيها القاريء رأيت أطفالاً من الطبقة الفقيرة حملتهن أمهاتهن أحمالاً من الحجب المختلفة الأشكال والألوان والأوزان ، فمن « الخمسة » او الخميسة التي تتقى بها عين الحاسد الى قرن الخرتيت ، وعرق السودان ، وقطعة « الفاصوخ » الملتصقة بشعره ومدلاة على جبينه ، وبجوارها عقد صغير من الخرز الأزرق ، الى منطقة من القيطان ينتهي بحجاب ضخم ، قد كتبه احد المشايخ في ليال وايام عدة ، واخذ ثمنه جنيهاً او جنيهين بعد ان رقاه برقيـة من « شمس المعارف » واذا تحولت ببصرك عن هذا الطفل المسكين الذي تراه على الرغم من تلك الوسائل لحمايته من الشر ، أصفر ضعيفاً خائر القوى ، ومرت بجانبك سيارة تنهب الارض نهباً فلا تهمل ان تلقي عليها بنظرة ، فسترى فوهة الماء بمقدمتها ، وقد ركبت عليها صورة شيطان بذيل او نسر طائر او قزم ضاحك وحوله عقد من الخرز الأزرق . واذا مرت بك السيارة والقيت نظرة على مؤخرها لتأخذ عينك بالهانم المضطجعة ، او الباشا المسترسل في أحلامه ، تلمح في نافذتها الخلفيـة ، صورة عروس او قرد « خلف الحبايب » يتدلى ويترجح ، لانه مربوط من عنقه الى سقف المركبة بخيط دقيق كالمشنوق ، فاعلم ياأخي العزيز ان العفريت المذنب ، والخرز الأزرق والعروس المشنوقة ، كلها وقايات للسيارة واصحابها ، لتحويل عين الحاسد عن فخامة السيارة وسرعتها وجمال من فيها وثروتهم . فاذا كنت محباً للتاريخ او لعلم الاجتماع او باحثاً في علم النفس ، أدركت لساعتك ان المسافة بيننا ونحن الآن في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
-www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

القاهرة في منتصف القرن العشرين ، وبين أجدادنا الأولين الذين عاشوا منذ عشرة آلاف سنة ، لاتزال من حيث العقل والاعتقاد قريبة جداً ....

فقد كان الانسان الاول في فجر التاريخ يعيش وهو مملوء بالرعب من الكائنات والاحياء ، يحب الحياة ويتعلق باهداب النجاة بكل الوسائل ، فكان يلجأ الى التمائم والرقى والحجب ، ليحمي نفسه من الحسد او العين الشريرة ومن سحر خصومه ، وقوتهم ، ومن تألب أعدائه عليه . وكذلك تحمل المرأة الحجب لتجذب قلب زوجها ، او معشوقها وتجلب محبته ، وكان بعضهم يلبسون الحجب ، لتقيهم الاصابة بالسلاح في ميدان القتال . وقيل ذلك عن عثمان دقنة في حروب السودان . وروى مثله الكرلونل لورنس عن عودة ابو تايه الصديق العربي الشهير للحلفاء . فقد روى للكولونيل الشريف المخلص للعرب ، وللثورة العربية ... انه لايصاب برصاص الاعداء لانه محجب ، وابرز حجابه الذي اشتراه باربعة عشرجنيهاً « وكان يطلق على الجنيهات كلمة (نيرات) محرفة عن ليرات» فلما استأذنه لورنس في فحص هذا الحجاب ، ألفى انه نسخة فوتوغرافية مصغرة من القرآن الشريف المطبوع في جلاسكو عاصمة اسكوتلاندا ، وثمنها شلن وثمانية بنسات .

وكذلك يلبس الشرقيون الحجب لتحمل نساؤهم العواقر وليتغلبوا على اعدائهم من ظهر منهم ومن اختفى . فلما انتقل الانسان من حالة الفطرة وبدأ يعبد الآلهة ، اخذ يعتقد ان إلهه المعبود في حاجة الى الحجاب مثل حاجة العابد اليه ، ولم يتخيل ان الهه يستطيع العيش بغير حاجة الى القوى السحرية التي تنطوي عليها الرقى والعزائم والحجب . ثم تطور فصار يعتقد ان الآلهة أنفسهم يمنحون البشر قوة السحر ، وكانت هذه الفكرة شائعة عند كهنة مصر المتحضرين ورفاقهم كهنة سومير و بابل .

وانتحل هؤلاء الكهنة معتقدات أسلافهم ومزجوها « بالخفاء الديني » اومر الاسرار ، ومن ذلك الحين اخذ السحر والدين يسيران جنباً الى جنب و يداً بيد ... فصار الآلهة سحرة ! واخذوا يوزعون السحر على الناس ، بواسطة الكهنة ! لاجل هذا ترى فرعون محاطاً بكهنة وسحرة . وترى المعجزة الاولى التي ظهر بها النبي السامي الاول الذي بعث به الى مصر — كانت معجزة السحر ، من نوع مانبغ به اهل الملة التي بعث بها اليهم .

فاذا اطلعت على الأدب المصري القديم والأدب البابلي ، وجدت السحر في معتقدهم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جزءاً لايتجزأ من حياة الآلهة الذين مازالوا في حاجة اليه ليستعينوا به ، ويعينوا بعضهم بعضاً ، وينقلوه الى الناس عن طريق الكهنة .

وقد تفضل العالم الفاضل الروسي الاستاذ جولينشيف (Golénisceff) الذي كان حيناً أستاذاً للتاريخ المصري القديم بالجامعة المصرية ، فنشر كاغداً مصرياً اسمه « البابيروس الهيراتيقي » عدد ١١١٥ و١١١٦ حرف (أ) وحرف (ب) بمتحف الهرميتاج ببطرسبرج في سنة ١٩١٣ ، وعهد هذا الكاغد لايتجاوز الأسرة الثامنة عشرة ، ولكنه نسخة من اصل يرجع تأليفه لعهد الأسرة التاسعة او الأسرة العاشرة . وهو خاص بالسحر وقد أطلق عليه بين العلماء اسم (بابيروس بطرسبرج) واليك بعض ما جاء فيه خاصاً بالسحر .

« ان الاله الاعظم (ربما كان يقصد رع) خلق السحر لمنفعة البشر » . وقد كتب الملك خاتي الذي حكم في الفترة الوسطى بين الأسرة السادسة وبين ملوك طيبة ، في الالف الثالثة قبل المسيح رسالة امر فيها ابنه « مري — كا — رع » ان ينفذ ما جاء بها بالدقة . قال الملك : ان الله (كذا) قد أنعم على الناس بخيرات كثيرة ، لانهم رعيته وقطيعه المحتاج لعنايته ورعايته وعطفه ، وقدخلق السماوات والارض لاسعادهم وهناءتهم وبدد ظلمات البحار (يقصد المحيط الاول) وخلق نسيم الحياة ليستنشقوه ، وخلق الله جميع الخلق (رجالاً ونساءً) على صورته وصنعهم من اعضائه ، وهو يصعد الى السماء ليفرحهم و يحسن اليهم و ينعم عليهم ، وخلق الفواكه والخضر والطيور ذات الريش والدواجن المجنحة (الدجاج والأوز والبط) والأسماك السابحة والأغنام والمواشي ليأكلوها . وتبارك الله فقتل اعداءه ، وأهلك اولاده اذ تذمروا ، وتآلبوا عليه . ان الله الذي جلت قدرته قد جعل نور النهار احساناً منه اليهم . ثم انه سبحانه خلق لهم السحر ليكون سلاحاً يحاربون به قوة الشر التي تحيق بالحوادث ، و يقاومون احلام الليل وأحلام النهار وما يزعجهم من رُؤى !

وقرأ الاستاذ جولينيشيف كلمة (حيكاو) بمعنى السحر ، وهي التي تكتب في الهيروغليفية من الشمال الى اليمين « حبل مفتول — ذراعان مرفوعان - طائر الصقر — واو مقلوبة — رجل راكع » . وكلمة (حيكاو) هذه تؤدي معنى السحر والطلاسم والصلوات المرتلة ، وكلمات القوة وكل فن من فنون السحرة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
- www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

و يوجد في المتحف البريطاني بابيروس تحت عدد ١٠١٨٨ يدل على القوة السحرية العظيمة التي كان يتمتع بها الرب (بيبْ — أرْ — چر) رب الحدود الذي كان اسمه ايضاً خبيرا (او الخبير !!) . وجاء في « كتاب معرفة أجيال رع » ان الرب وجد بنفسه وذاته ، بمفرده في المحيط الاول (استوى عرشه على الماء ؟ !) بالاسم فقط ، وذلك بطريقة « الحكا » او السحر ولكن هذه الطريقة لم توصف ، وقد اشتغل بقلبه اي بعقله الى ان صار كائناً ، فعرف المصريون بعد ذلك انه خبيرا او رع ! ..

ومعنى هذا ان الرب قد وُجد بالاسم فقط ، وقد جاء في الاسطورة ان الرب قد باح بهذا الاسم السري او الاسم الاعظم لايزيس لتتمكن من حكم العالم به ، وسبب ذلك ان ايزيس تمكنت بسحرها من خلق أفعى عظيمة سامّة وامرتها بلدغ الاله ، فلما لدغته وسرى السم في بدنه وأيقن انه لاشك هالك ، باح لها بالاسم الأعظم ، فقرأت ايزيس تعويذة شفته من لدغة الافعى . فظهر حذق ايزيس في السحرين الأسود والابيض لانها أمانت ثم أحيت .

وترى عند اهل بابل والأحباش عقائد لا تختلف عن معتقدات المصريين في السحر والتمائم . كعقيدة احتياج الارباب جميعاً للسحر ، وما ينفع الأرباب ينفع البشر حتماً ، فترى عند اهل بابل « دوبو شيماتي » اوألواح القدر . وقد شمل السحر قدرة الشيخ على تفسير الأحلام ، وهو دليل اعتقاده بان الآلهة تزيح الستار عن الحقيقة لبني آدم بطريق الرؤيا الصادقة ، فذكر في كتب القدماء كثير من الأحلام ، وجاءت في الكتب المقدسة رؤيا يوسف الصديق ورؤيا فرعون وغيرهما . وكان اليهود يعتقدون في (اوريم) و (تميم) وكانوا يسألونهما عن المستقبل كما كان شاول يستخير الله ، وكما كان اليونان يستفتون الوحي في دلف ، وكما كان العرب يسألون اهل الكهانة وكانت الكهانة علماً محترماً عندهم ، ونبغ فيه كاهنة اليمن التي أنذرت بخراب سد مأرب ومجيء سيل العرم ، وزبراء وسلميمى الحميرية وعفيراء وفاطمة الختعية وزرقاء اليمامة .

ولما جاء الدين المسيحي صارت صور الرسل والشهداء والعذراء وبعض آيات من الكتاب المقدس بمثابة تمائم وحجب ، وقبل اختراع الورق كانت هذه الاشياء تكتب او ترسم على الجلد والعظم والمعدن . واكتشف المسلمون أن لأسماء الله الحسنى فعلها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

السحري ، وكذلك بعض آيات القرآن الكريم مثل « ان بصرك اليوم حديد » وفي القرون الوسطى انتشر السحر الشرقي في انحاء اوربا ولا تزال منه آثار باقية حتى الساعة . وفي فرنسا قرى يعتقد اهلها في السحر و يطلقون اسم الساحر على احد اهلها ، وهذا مشاهد في مقاطعة سافوا . وألف هنري بوردو كتاباً اسمه « البحيرة السوداء » ، قصة رجل يقتل زوجة خصمه بفعل السحر عن بعد ، وأسس علماء الفلك والطبيعة والرياضيات علومهم على علوم السومريين والبابليين والاشوريين ، ويقول الاستاذ والاس بدج ان في انجلترا واسريكا الوفاً من الناس يعتقدون بامور كانت محترمة في بابل وآشور ، منذ ٥٠٠٠ سنة . فمهما كبر شأن العلم واتسع نطاق المعرفة وتأصلت الحضارة ، فلن يشفى الانسان من عقيدة السحر ، والتعلق بالتمائم والحجب والتعاويذ والاعتقاد بالتنجيم وصدق التنبؤ بالغيب والكهانة ، في اوربا الآن اشخاص يعيشون و يربحون ارباحاً طائلة من التنجيم وعمل الطوالع وكتابة الحجب والتنبؤ عن المستقبل ، وزاد الاقبال عليهم بعد الحرب ، وظهر في الثورة الفرنسوية كاليوسترو الذي قبض على زمام باريس بسحره وشعوذته ، وفي اوربا وامريكا مئات من أمثال هذا الرجل . ليس علم التنجيم من العلو الحقة ولكنه يصدق غالباً في معرفة اخلاق الناس بواسطة الطوالع التي تسمى (هوروسكوب) . وفي اوربا لعهدنا هذا آباء خرجوا لاولادهم طوالع وهم يربونهم ولايحيدون عن نبوة الطوالع قيد شعرة . و يوجد أطباء اوربيون وعلى الخصوص انجليز ، يعملون لمرضاهم طوالع و يتبعون العلاج الذي يظهر وصفه فيها . و يظهر في انجلترا في كل عام تقاويم فلكية للتنجيم أشهرها تقويم مستروايت وتقويم سيفار يال ومس آدمز . وكانت مدام تيب تصدر في فرانسا تقويماً سنو ياً شهيراً ولما توفيت حل محلها كثيرون يتنبأون عن المستقبل واذا خاطبت عالماً طبيعياً في هذه الشؤون فانه يؤكد لك انها شعوذة ، فاذا ضربت له الأمثال بحوادث تعرفها معرفة شخصية يقول لك « لا بد ان يكون في الامر سرٌّ لا أدري ما هو ! » .

اما علم الكف فقد ظهر في الشرق والغرب ، وكان له شأن عظيم ، وأُلفت فيه كتب كثيرة وأشهر أربابه شيرو وهو رجل مختفٍ وراء اسم مصطنع ، وتنبأ بمستقبل كثيرين من العظماء بمحض النظر الى خطوط اكفهم . وترى بعض علماء الكف

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
- www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يدلونك على ماضيك وحاضرك بمهارة ، وأطلق اسم شيرو على هذه الصناعة فصارت شيرومانسي .

وأشهر قراء الكف والوجه (علم الفراسة) من طائفة البارمي او مجوس الهند الذين توطنوا في بومباي بعد ان هاجروا من بلاد الفرس . وأقل مايستفيده البارسي لنفسه من علمه بالكف ان يتقي الاختلاط بالاشرار ممن يكتشف شرهم بقراءة وجوههم والتفرس في أيديهم وكانت للعرب قدم راسخة في الفراسة .

اما طريقة «المندل» فطريقة عملية ، لانها مبنية على تنويم الناظر مغنطيسياً ثم تشتغل العصب البصري في التأثير في المخ فيستجيبه فيبعث الى العين بمناظر الغيب ، وهو على أنواع أشهرها في اوربا الطريقة الهندية او النظر في كرة البلور ، او في كأس ماء او في بحيرة او في مداد مسكوب في الكف . وقد عرف بعض اصدقائنا رجلاً كان يقرأ المستقبل في عظمة من لوح الضأن فيسرد الوقائع بانتظام عجيب ، ولا يزال في ايرلاندا واسكوتلاندا واسبانيا وايطاليا وفرنسا والمانيا وبولونيا سواحر يعشن من قراءة «البخت» بالورق او بغيره من أدوات المعرفة مثل فحص فنجان القهوة او «الهمس» او «قياس الاثر» ونعلم ان في السودان وغرب إفريقية سحرة وبعضهم يتصدون لقتل الناس بالايحاء ، فيذهب الساحر الى الرجل و يأمره بان يموت يوم كذا ثم يتركه « ويحصر ارادته في موته » ولا يزال هكذا حتى يموت الرجل ، وقد وضع مستر سومرست موغام قصة في هذا الموضوع وأيده الاستاذ بدج في مقدمة كتابه في العلوم الخفية ص ٣٣ .

وروى بدج نفسه ان مرشداً عربياً صحبه من دمشق الى بغداد ، وأخبره بان السر في وصولها سالمين يرجع الى خمس خرزات زرق معلقة باعلى جببن كل جمل في القافلة وأقنعه بان نجاح الاستاذ المؤرخ في شراء الكتب المخطوطة في وادي تياري يرجع الى الخرز الأزرق وحجب القرآن التي كان يحملها العربي . ولما بلغوا الموصل اخذوا حفنة تراب من قبر الحاخام «هرمزد» فأنقذتهما من شر اليزدية او عبدة الشيطان ثم أخذوا حفنة مثلها من قبة ادريس فنجوا من الخطر في الشلال الثالث . ولما نهب عرب شمر قافلتهم لم يجرؤوا على قتلهم بسبب حجاب من القرآن كان يحمله المرشد العربي .

وجاء في ص ٣٦ من الجزء الثاني من كتاب التجريد الصريح لاحاديث الجامع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الصحيح (البخاري) عن عائشة رضي الله عنها قالت : سُحر النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان يخيل اليه انه يفعل الشيء وما يفعله حتى كان ذات يوم دعا ودعا ثم قال : أشعرت ان الله أفتاني فيما فيه شفائي أتاني رجلان فقعد احدهما عند رأسي والآخر عند رجليّ فقال احدهما للآخر ما وجع الرجل ؟ قال مطبوب ، قال ومن طبه ؟ قال لبيد بن الأعصم ، قال فيما ذا ؟ قال في مشط ومشاقة وجف طلعة ذكر ، قال فأين هو ؟ قال في بئر ذروان ، فخرج اليها النبي (ص) ثم رجع فقال لعائشة : حين رجع « نخلها كأنه رؤوس الشياطين » فقلت : استخرجته ؟ فقال : لا ! اما انا فقد شفاني الله ، وخشيت ان يثير ذلك على الناس شراً ثم دفنت البئر .

وفي رواية أخرى أوردها الشرقاوي والغزي في الحاشية انه صلى الله عليه وسلم وجد في الطلعة تمثالاً من شمع تمثال النبي صلى الله عليه وسلم واذا فيه إبر مغروزة واذا ونر فيه احدى عشرة عقدة فنزل جبريل بالمعوذتين فكلما قرأ آية انحلت عقدة وكلما نزع إبرة وجد لها ألماً ثم يجد بعدها راحة . اه البخاري وشرحه .

وطريقة صنع التماثيل من الشمع او القماش ووخزها بالابر او الدبابيس لاحداث الألم في الشخص المقصود والمصنوع التمثال على صورته شائعة في الشرق ، وكانت معروفة لدى القبائل الوحشية من سكان اوستراليا الاصلاء والهنود الحمر وغيرهم . ولا تزال تعملها الضرائر بعضهن لبعض في مصر .

وكان قيصر روسيا يلبس خاتماً فيه قطعة من خشب الصليب الصحيح ويتعلق به ، وكان يعتقد ان هذا الخاتم قد وقى حياة جده فنسيه يوماً فصادف حدوث قتله في ذلك اليوم (راجع كتاب اصول الاوهام الشعبية تأليف شاربر نولصون ص١٥٦) وكان مستر روكفلر الشهير يحمل في جيبه حجر النسر وفي داخله أجسام لها كلما اهتز رنين خاص ويؤمن بان هذا الحجر يقيه المرض والغرق وغيرهما من المصائب (الكتاب نفسه ص١٠) وكان الاستاذ رايت المعلم في كامبردج يلبس خاتماً من الذهب من لوانجو عليه رسم خاتم سليمان ، ويقول انه لا يستطيع العمل ان لم يكن متختماً به .

وكان هنري سيجراف يحمل تميمة في جميع مسابقاته فنسيها يوم موته . والانجليز من اهل اوستراليا يعتقدون بان صورة الكانجرو تحميهم وتأتي لهم بصنوف من النجاح والنصر .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
- www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وروى لي شاهد عيان ان الخديوي عباس حلمي يوم أُطلق عليه الرصاص في الاستانة (يوليو سنة ١٩١٤) بيد الطالب المصري محمد مظهر ، كان يحمل في احد جيوبه حجراً من الزبرجد عليه بيت البردة الشهير :

وقاية الله اغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عالٍ من الأُطُم

فمرت الرصاصة على الحجر وانزلقت ، ولم تصب جسم الرجل ولو انها تخطت الحجر الكريم ، لأصابت القلب نفسه .

واحة عين شمس (مصر) : محمد لطفي جمعة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net